

التشتت في الصلاة

للقدّيس إسحق السرياني

(مأخوذ عن نشرة مطرانية بيروت 2004/45)

أتريد أن تتنعم بتلاوة المزامير وتحصل على فهم أقوال الروح التي تقرأها؟ لا تكثر للكلمة أبداً، ولا تهتم بمعرفة الأوزان والألحان، بل اتلها كما تتلو الصلاة واترك استظهارها الذي اعتدت عليه. وافهم ما أقوله لك وما قيل قديماً: صلّ كما تقرأ كتب من أرشدهم الله. وليكن ذهنك منتبهاً للتأمل في الآيات، حتى تستيقظ نفسك بمعانيها العظيمة مندهشة من تدبير الله، فتندفع إماماً إلى تمجيده أو إلى حزن مفيد لك. وإذا وجدت فيها ما هو مناسب للصلاة فاتخذه لأنه عندما يثبت الذهن فيه يزول عنك الغمام، فلا سلام للذهن في عمل العبودية ولا تشويش ولا اضطراب في حرية الأبناء. إن التشويش من شأنه أن يزيل تذوق الفهم والإدراك ويسلب المزامير معانيها كالعقّة التي تمتص الدماء من الأجساد فتقضي عليها.

... لا تجادل الأفكار التي يزرعها العدو فينا عادة واقطع حديثك معها متضرعاً إلى الله، ينلُ ذهنك حكمة من النعمة. إن من يعرف هذه الحقيقة ينقذ نفسه من مشاق كثيرة، وبايجاده هذا السبيل القصير يقطع عن كل تشتت في الطريق الطويل.

إننا لا نقدر أن نجادل الأفكار التي تحاربنا وكثيراً ما تصيبنا بجراح يصعب شفاؤها في زمن قصير. فالذي يستعد لمجابهة الشياطين، التي تحاربنا منذ ستة آلاف سنة، بالحجج، يعرض ذاته لضرباتهما بما يفوق حكمته وفطنته بكثير. وهو، وإن غلبها، لن ينجو من تدنس ذهنه بقذاراتها ورائحتها الكريهة التي ستظل في أنفه زمناً طويلاً. فالأفضل لك أن تفتني الخوف دائماً وتحرر منها بالطريقة التي ذكرتها، فلا معين في مثل هذه الأحوال سوى الله وحده.